جامعة قطر
QATAR UNIVERSITY
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
College of Sharia & Islamic Studies

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
Journal of College of Sharia & Islamic Studies
نصف سنوية - علمية محكمة
Academic Refereed - Semi - Annual
Issn 2305-5545
العدد (٣١) ربيع ٢٠١٣م : VOL . (31) 2013

النصيحة في القرآن الكريم
مفهومها، مجالاتها، تطبيقاتها المعاصرة

تأليف
الدكتور / بسيوني محمد علي نخيلة
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

ملخص البحث:

لا يمكن لباحث أكاديمي في موضوع النصيحة وما يتعلق بها أن يصل إلى قول فصل عملي صالح لكل زمان ومكان، ورؤية مستنيرة تناسب الظروف والأحوال، ونتائج علمية تفيد البحث والباحثين دون أن يتطرق - بتأمل ودراسة وتدقيق- إلى حديث القرآن المباشر وغير المباشر عن النصيحة، ومجالاتها، وتطبيقاتها.

فلقد تميز القرآن الكريم في حديثه عن النصيحة باستخدام اللفظ المباشر (نَصَح) وما اشتق منه مرات عديدة، وذلك في مجال النصيحة المحمودة القدوة على ألسنة الأنبياء والمرسلين وفي مجال الدعوة والإصلاح والتغيير. ومن خلال تأمل ودراسة هذه المواضع القرآنية، وتحليلها علميا، يستطيع الباحث أن يستنبط المفهوم القرآني للنصيحة، وأن يدرك أهم مجالاتها وأنواعها، وأن يقف على أهم الخصائص والمواصفات العامة التي تجعل النصيحة قابلة للتطبيق المعاصر في مجالات التربية والإصلاح والتقويم.

ولهذا جاء تركيز الدراسة على استنباط وصياغة المفهوم العلمي العملي للنصيحة من خلال سياق آيات القرآن الحكيم التي تحدثت عن النصيحة ومشتقاتها، كما تحاول الدراسة إبراز مجالات وملامح النصيحة القرآنية، بما يعين على الإسقاط والتطبيق العملي للنصيحة في قالبها المعاصر، الذي يحتاج إلى كثير من الضوابط والإرشادات، بما يناسب قاعدة الأصول والثوابت الشرعية التي تهدف في مجملها إلى الصلاح الشامل والإصلاح العام.

The definition, and Contemporary applications of the Quranic giving advice

Abstract:

It is a very important step for any academic researcher in the topic of(Al Naseeha) giving advice to go back to quran and Sunnah, in order to get its right definition, and the most applicable ways of its implementation in the current contemporary life; that is because the Quran is the book, that contains the best advice for the entire human kind, and also talks about the best advisors, whom Allah has send to his creation. And when we reflect on the verses that talk about the best advices and the prophets of Allah, whom they were entrusted to deliver those advices to their people, we can find that the word advice(Al Naseeha) is a very comprehensive term, that includes many great qualities, that cannot be found except in this word, in addition, we learn many different etiquettes and manners, that can help those who attempt to play the role of giving advice in the contemporary life to fulfill it in the best and most effective way ever. and that is exactly what this paper tries to focus on, in order to have a clear road map that can help Muslims to apply the real (Naseeha) in all different current life affairs, according to the Quran guidance and wisdom.

المقدمة:

الإسلام هو دين النصيحة، والدعوة إليه هي أعظم النصائح وأنفعها، وكتابه القرآن هو المصدر الأوحد للنصيحة الربانية الهادية إلى صلاح الدين، وإصلاح الدنيا، وإرشاد العقول، وتنوير القلوب. والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو الناصح الأمين في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإسعادهم في العاجلة والآخرة. ولهذا لا يمكن لباحث أكاديمي في موضوع النصيحة وما يتعلق بها أن يصل إلى قول فصل عملي صالح لكل زمان ومكان، ورؤية مستنيرة تناسب الظروف والأحوال، ونتائج علمية تفيد البحث والباحثين دون أن يتطرق- بتأمل ودراسة وتدقيق- إلى حديث القرآن المباشر وغير المباشر عن النصيحة، ومجالاتها، وتطبيقاتها.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم في حديثه عن النصيحة، يجد أنه استخدم اللفظ المباشر (نَصَح) وما اشتق منه، وذلك في مجال النصيحة المحمودة على ألسنة الأنبياء والمرسلين في مجال الدعوة والإصلاح والتغيير. مثل قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ (الآية٦٨) وقوله سبحانه:﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾(سورة الأعراف، الآية٧٩)كما استخدم اللفظ المباشر أيضا في النصيحة المذمومة على لسان الشيطان في مجال الإغواء والتزيين. مثل قوله تعالى في سورة الأعراف أيضا:﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾(الآية٢١). ومن خلال تأمل ودراسة هذه المواضع القرآنية، وتحليلها علميا، يستطيع الباحث أن يستنبط المفهوم القرآني للنصيحة، وأن يدرك أهم مجالاتها وأنواعها، وأن يقف على أهم الخصائص والمواصفات العامة التي تجعل النصيحة قابلة للتطبيق المعاصر في مجالات التربية والإصلاح والدعوة المعاصرة.

ولقد تميز القرآن الكريم أيضاً باستخدام ألفاظ أخرى تفيد-في بعض استخداماتها- معنى النصيحة. مثل: (الوصية – البلاغ – الإنذار – الموعظة ...) ولا شك أن تأمل هذه المصطلحات يساعد – في مجمله- على مزيد من الإيضاح لمفهوم النصيحة، مما يعين على صياغته في صورة جامعة شاملة، تصلح للاستخدام والتطبيق المعاصر.

ولهذا كان اختيار الباحث لهذا الموضوع الذي يركز على استنباط وصياغة المفهوم العلمي العملي للنصيحة من خلال سياق آيات القرآن الحكيم التي تحدثت عن النصيحة ومشتقاتها، كما يحاول إبراز مجالات وملامح النصيحة القرآنية، بما يعين على الإسقاط والتطبيق العملي للنصيحة في قالبها المعاصر الذي يحتاج إلى كثير من الضوابط والإرشادات، بما يناسب قاعدة الأصول والثوابت الشرعية التي تهدف إلى الصلاح الشامل والإصلاح العام.

ولتحقيق هذا جاءت خطة البحث كالآتي:

مقدمة ، ثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

المبحث الأول: مفهوم النصيحة ومشتقاتها في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الناصحون في القرآن وخصائصهم.

المبحث الثالث: مجالات النصيحة في القرآن وتطبيقاتها المعاصرة.

الخاتمة : أهم النتائج والتوصيات.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه، ونافعاً لخلقه.

المبحث الأول

مفهوم النصيحة ومشتقاتها في القرآن الكريم

المفهوم العام للنصيحة في القرآن الكريم

ورد ذكر النصيحة في القرآن الكريم أربع عشرة مرة بصيغ ومشتقات متعددة، يتوافق كثير منها في أصل المعنى اللغوي، ويختلف- نوعاً ما- في المفهوم الخاص، حسب تنوع أحوال ومواطن السياق القرآني.

وأول ما يجب أن يشار إليه من هذه المواضع ما جاء بصيغة الماضي. كقوله تعالى في قصة سيدنا صالح عليه السلام:﴿فتولى عَنْهُمْ وَقَالَ يا قوم لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾(سورة الأعراف، الآية:٧٩) وكذلك في قصة شعيب عليه السلام. يقول تعالى:﴿فتولى عَنْهُمْ وَقَالَ يا قوم لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالات رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ (سورة الأعراف، الآية:٩٣) وقوله تعالى في سورة التوبة عن المعذَّرين: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ ورسوله ﴾(الآية:٩١).

و(نصح) بالماضي: هو أصل الكلمة الذي يرجع إليه كل مشتقاتها، كما أوضحت معاجم اللغة. يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: (النون والصاد والحاء أصلٌ يدلُّ على ملاءمةٍ بين شيئين وإصلاح لهما)[1]. يقال:(نَصَحَ الشيءُ أي: خَلَصَ، وكل

(١) أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، ج٥ ص ٣٤٨، تحقيق: عبد السَّلام هَارُون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، سنة ٢٠٠٢م

شيءٍ خَلَصَ فقد نَصَحَ)([1])ويقال أيضا: (نصحته، ونصحت له، نصيحة ونصاحة أي: أرشدته إلى ما فيه صلاحه)([2]).

وفي قوله تعالي على لسان نوح عليه السلام:﴿ أُبَلِّغُكُمْ رسالات رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية:٦٢). وقوله تعالى:﴿ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾(سورة هود، الآية٣٨) جاءت النصيحة بصيغة المضارع المتعدي باللام ﴿أنصح لكم﴾ وهي تفيد المبالغة والاستمرار في النصح، مع الصدق والإخلاص أثناء عملية البلاغ وما يتبعها. يقول ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية:(وهذا قول مؤذن بعزمه على تجديد النصح في المستقبل؛ لأن واجبه البلاغ، وإن كرهوا ذلك)([3]).

وأكثر مشتقات النصيحة ذكرا في القرآن ما جاء على صيغة اسم الفاعل. فقد ورد أكثر من خمس مرات: كقوله تعالى عن هود عليه السلام:﴿أُبَلِّغُكُمْ رسالات رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (سورة الأعراف، الآية٦٨) وكقوله تعالى:﴿ولكن لَّا تُحِبُّونَ الناصحين﴾(سورة الأعراف،الآية:٧٩).وكقوله تعالى:﴿وإنا له لناصحون﴾ (سورة يوسف،الآية١١)وكقوله تعالى عن زعم الشيطان: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ (سورة الأعراف، الآية٢١) وكقوله تعالى عن أم موسى عليه السلام: ﴿يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (سورة القصص، الآية١٢). جاء في لسان العرب:

(١) محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، لسان العرب، ج ٢ص٦١٥، دار صادر بيروت، طبعة أولى.

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧ ص ٢٣٤، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط أولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٣) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢ ص ٦٢، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ .

(والناصحُ: الخالص من العسل وغيره. والناصح الناصع)([1]) وفي المعجم الوسيط: (الناصح) الخالص من كل شيء يقال: سقاني ناصح الشراب. ويقال: ناصح الجيب نقي القلب لا غش فيه)([2]).

وجاء ذكر النصيحة أيضا بصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم﴾ (سورة هود،الآية٣٨). والنُّصْح: إخلاص المشورة([3])، وهو نقيض الغِشّ([4]). تقول: نَصَحه، نُصْحاً، ونَصِيحة، ونَصاحة، ونِصاحة. أَي أَخْلَصْتُ، وصَدَقْتُ، والاسم النصيحة.([5]) يقول الرازي: (وحقيقة النصح: الإرسال إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه)([6]).

وآخر مواطن ذكر النصيحة في القرآن ما جاء بصيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾ (سورة التحريم، الآية٨) قال الألوسي:(﴿ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾ أي: بالغة في النصح، فهو من أمثلة المبالغة، كضروب، وصفت التوبة به على الإسناد

(١) لسان العرب ج٢ ص ٦١٥

(٢) مجمع اللغة العربية ج٢ ص ٧٧١، مكتبة الشروق الدولية ، ط الرابعة، ٢٠٠٤م.

(٣) المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٧١ .

(٤) لسان العرب ج٢ ص ٦١٥

(٥) لسان العرب ج٢ ص ٦١٥ بتصرف يسير

(٦) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ج ٧ ص ١٦٣، دار الفكر،١٤٠١هـ ١٩٨١م.

المجازي، وهو وصف التائبين)([1]) والمقصود بالتوبة: (النصوح: أي التي تنصح صاحبها حتى لا يعود إلى ما تاب منه)([2]).

المفهوم الخاص للنصيحة في القرآن الكريم

من خلال العرض السابق تبين لنا أن النصيحة في مفهومها العام يراد بها: الإخلاص، الصدق، إرادة الخير للغير، كما يراد بها: الصفاء، النقاء، الرقة في العرض والبيان. ومع مزيد من التدبر لآيات النصيحة في القرآن الكريم، يجد الباحث أنها وردت في سياقات متعددة: فتارة نجدها في معرض الحديث عن أنبياء الله، كنوح، وهود، وصالح، وشعيب عليهم السلام، وذلك في إطار الدعوة والتبليغ والإصلاح. وتارة نجدها في معرض الحديث عن أفراد يمثلون أدوارا مختلفة في الحياة الاجتماعية العامة، كعرض أخت موسى لآل فرعون في أمر رضاعة موسى عليه السلام. وكذلك في تدبير إخوة يوسف لأخذه معهم. وفي نصيحة الرجل الذي جاء يسعى من أقصى المدينة؛ لينصح موسى عليه السلام .كما تأتي النصيحة في سياق الحديث عن المعاني القيمية كالتوبة. وأخيرا، ترد النصيحة في ادعاءات كاذبة، تلفظ بها الشيطان في معرض الغواية والإضلال، ومحاربة القيم والفضائل.

ومن خلال تأمُّل هذه المواضع –مجتمعة مع ما سبق ذكره من المعاني اللغوية– يمكن التوصل إلى صياغة مفهوم النصيحة الخاص. وهو **إرادة الخير الخالص**

---

(١) محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني ج٢٨ ص ١٥٧ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١ ص ١١١٣، دار القلم ، دمشق، ط أولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

للمنصوح، بصدق القول، وصفاء القلب، وسلامة الغاية. وأصدق مثال يترجم لنا هذا التعريف ما جاء في نصيحة الأنبياء عليهم السلام، فهم يريدون الخير كل الخير لمدعويهم، إذ لاشك أن دعوة الناس إلى خالقهم، و إرشادهم إلى مصدر حياتهم وأرزاقهم، هو الخير الخالص الذي لا تشوبه شائبة، ولا يدفع إليه إلا الصدق والإخلاص، والحرص الأكيد على نفع المنصوح؛ ولذا تكرر في قصصهم ما يؤكد على هذه المعاني. نحو قوله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿يا قوم اعبدوا الله مَا لَكُم مِّنْ إله غيره إني أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم ﴾(سورة الأعراف،الآية٥٩)، وقوله تعالى:﴿وَ يا قَوْمِ لا أسألكم عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الله﴾ (سورة هود، الآية٢٩) فهو يريد لهم الخير الخالص في عبادة الله، يدفعه في ذلك قربه منهم، فهم قومه، والخوف عليهم، يظهر ذلك في صدق قوله، وصفاء قلبه، وسلامة غايته من أعراض الدنيا و نوازعها، فهو لا يرجو إلا ثواب الله أجرا ومغنما.

ومن هذا التعريف للنصيحة، يمكن أيضا أن يتحدد أهم أركانها، فهي تحتاج إلى ناصح، ونصيحة، ومنصوح، وأداة للنصح. فالناصح: لابد أن يكون أمينا مخلصا. والنصيحة: لابد أن تكون ناصعة خالصة. والمنصوح: لابد أن يكون مقصودا بالنصيحة وما فيها من خير. وأداة النصيحة: لابد أن تكون صادقة التعبير رقيقة البلاغ. ومن خلال هذه الأمور الأربعة بمواصفاتها المذكورة تكون النصيحة بمفهومها الصحيح، ذي القيمة المعروفة. أما إذا فقدت هذه الأركان الأربعة بصفاتها، أو واحدة منها، فلا تكون إلا ادعاء كاذبا، أو إلباسا لباطل زائف بصورة الحق الناصع. كمثال نصيحة الشيطان، فهو وإن ادعى، أو أقسم، أو أكد أنه من الناصحين، فلا يمكن بحال أن يكون منهم؛ ذلك أنه لا خير مطلقا فيما دعا إليه، فهو يدعو إلى معصية الله، والخروج على أوامره،

ثم يستخدم الكذب والافتراء وسيلة ليحقق غايته المذمومة في إغواء آدم وذريته. يقول تعالى عنه: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور﴾ (سورة الأعراف، الآيتان:٢٢،٢١). ولقيمة ما يحمله مصطلح النصيحة من معان الخير والنبل والوفاء في العرف العام، القديم والحديث، استخدمه الشيطان؛ ليحبك خطته في الإغواء، وليصل إلى غايته في الإضلال. وهكذا يفعل كل أفّاكٍ كذوب؛ ليسترعي الانتباه العابر، ويستجلب التقدير الزائف. ولاشك أن ذلك من شر ما يكون في سلوك البشر، ولكنه في نفس الوقت، يشير الى ما يحمله مصطلح النصيحة من معان الخير الخالص، وتأثير ذلك على المنصوح؛ مما دفع رموز الشر الى التمسح به والتغني بمشتقاته؛ ليرفعوا عن أنفسهم خسيسة الشر المتأصل في نفوسهم. ولكن سرعان ما يُكتشف أمرهم، ويّفتضح عورهم، إذ يفاجؤون أن النصيحة ليست قولا جزافا يدعيه اللسان، إنما هي عملية تبدأ من القلب بوازع الإخلاص والصفاء، ويعبر عنها اللسان بحرارة الصدق والوفاء، فيجد المنصوح أثرها، ويستشعر غايتها، ما سَلم قلبه، وفطن عقله، ووُقي الذلل. وهذا ما نستشعره في صيحة الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، منبها قومه إلى معالم صدق نصيحة المرسلين. فقال لهم: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون﴾ (سورة يس،٢١،٢٠).

وبهذه الإشارات، يزداد مفهوم النصيحة في الاصطلاح تحديدا، ويتميز بجملة من المعاني والقيم الأخلاقية الإنسانية التي لا يمكن لألفاظ أخرى أن توجزها في مصطلح واحد. يقول النووي، نقلا عن الخطابي: (النصيحة: من وجيز الأسماء ومختصر الكلام،

وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن المعنى في هذه الكلمة)(١).وربما من أجل هذا وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم، يعبر عن الدين الخاتم في شموله وعمومه بالنصيحة في الحديث المشهور (الدين النصيحة)(٢) أي في جوهره: فهو رسالة الخير. وفي هدفه: فهو إرادة هذا الخير للعالمين. وفي غايته: فهي ربانية محضة. وكذلك في وسائله: فهي الرحمة العامة. ولعل هذا الفهم الشامل الكامل المتنوع للنصيحة هو الذي دفع الإمام النووي يرد ما قاله جماعة من العلماء أن حديث النصيحة يعتبر أحد أرباع الإسلام. بقوله:(فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده)(٣). يقصد أن حديث النصيحة تدور عليه أمور الدين كلها.

ولربما كان هذا الشمول لمعاني الخير المتجرد في مصطلح النصيحة وأركانها هو أبرز ما يميزها عن غيرها من المرادفات التي شاع استخدامها بديلا عنها أو معها. مثل: مصطلح (الوعظ) فهو وإن ذكرت بعض المعاجم(٤) أنه بمعنى النصح، فلازال مقصورا في استخدامه على عملية التذكير بالخير، مع التحذير والتخويف من العواقب. يقول الرازي: (الوَعْظُ: النُّصح والتذكير بالعواقب. يُقال: السَّعِيد من وُعِظَ بغيره، والشَّقِي من

(١) يحيى بن شرف أبو زكريا النووي، شرح مسلم، ج ٢ ص٣٧، دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

(٢) أخرجه مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحة، باب: بيان أن الدين النصيحة، رقم(٥٥) ج١ ص(٧٤) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. وأبو حاتم محمد بن حبان في صحيحه، ج١٠ ص ٤٣٥ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤- ١٩٩٣.

(٣) النووي شرح مسلم ج ٢ ص٣٧ .

(٤) ابن منظور لسان العرب ج٧ ص ٤٦٦.

اتَّعَظَ به غيره)([1]) وبنفس هذا المعنى فسر ابن عاشور الموعظة بقوله:(هي نصح بإرشاد مشوب بتحذير من لحاق ضر في العاقبة، أو بتحريض على جلب نفع مغفول عنه)([2]) وهذا ما يؤيده قوله تعالى: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٧٥) أي جاءه تذكير ونصح علي سبيل التخويف والتهديد، يدل عليه قوله سبحانه:﴿فانتهى﴾. أما النصيحة – كما أوضحنا- فهي أشمل وأعم من أن تكون فقط بذكر العواقب، أو أن تكون مبنية على التخويف والتهديد، إنما شرطها الخير الخالص النصوح الخالي من المؤثرات صغيرها وقليلها.

أما مصطلح (البلاغ): فيقصد به التوصيل والتبليغ على أي حال كان، ويبدو أنه عملية مرهونة بوقت وظروف محددة ومعينة. جاء في المعجم الوسيط: (البلاغ ما يتوصل به إلى الغاية)([3]) فهو بهذا المفهوم يأتي من باب أداء واجب المسئولية، والتخلص من عبئها. يقول تعالى: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ (سورة الشورى، الآية ٤٣). يعني: (ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك)([4]) أما النصيحة فهو شعور دائم مع نفس طويل من الخير، تحمل على أيادي الخير المتنوعة، بنية إرادة الخير المخلصة المتجردة.

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح، ج١ ص ٧٤٠، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥-١٩٩٥.

(٢) ابن عاشور التحرير والتنوير، ج٩، ص٩٨.

(٣) المعجم الوسيط ج١ ص ١٤٦.

(٤) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢١ ص ٥٥٦، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط أولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

أما مصطلح (الوصية) فنجده محصوراً في شريحة معينة، تحمل صفات علوية، لها تقدير واعتبار. مثل: وصية الله تعالى لخلقه، فهو الرب الخالق. يقول تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ (سورة النساء، الآية١٣١). ووصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لأبنائهما في قوله تعالى:﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾(سورة البقرة، الآية١٣٢) أما النصيحة: فمصدرها متنوع، لا يقف عند صفة أو رتبة، ودوافعها غير محدودة بنسب أو مهمة.

وهناك أيضا مصطلح (الإنذار) الذي لا يخفى أنه متعلق بجانب التخويف والنذارة نحو قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾(سورة مريم،الآية٣٩).جاء في لسان العرب: (والإنذار الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف)(١) وذلك لا يمكن أن يدخل في النصيحة، إلا أن يكون من أحد وسائلها التي ربما يلجأ إليها الناصحون.

ومن مجموع ما ذكر يتأكد ما لمصطلح النصيحة في القرآن من خصوصية وتميز في المفهوم والدلالة، ففيه جماع الخير المخلص، النابع من صفاء القلب، المحمول على صدق القول والمشاعر، الغير مرتبط بزمان ولا مكان.وهذ ما سيزداد وضوحا وبيانا في المباحث المقبلة إن شاء الله.

❁❁❁

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٠٠.

المبحث الثاني

الناصحون في القرآن الكريم

تشير آيات النصيحة في القرآن الكريم إلى بيان أهم أصناف القائمين بعملية النصيحة، وبعض خصائصهم أثناء أداء عملية النصيحة. وهذا ما سنحاول استنباطه والوقوف عليه في هذا المبحث؛ ليكون فيه قدوة لكل ناصح معاصر، يريد أن يسلك سبيل الناصحين الربانيين، ويتجنب طريق المدّعين.

أولا : الأنبياء عليهم السلام

فهم صناع النصيحة، وأعلام النصح، وقادة الناصحين على مدار التاريخ. وواجب النصيحة في حقهم يعتبر من أبرز مهامهم ومن صميم أعمالهم. يقول تعالى عن نوح عليه السلام:﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، الآية٦٢) وعن هود عليه السلام يقول تعالى: ﴿ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ (سورة الأعراف، الآيتان: ٦٧، ٦٨). فمن السياق العام لهذه المواضع، يتضح أن نصيحة الأنبياء تعرض كواحدة من أهم مهامهم تجاه أقوامهم، فهم ينصحون، ويبلغون، تماما كما يتلقون الوحي الذي من خلاله يعلمون مالا يعلمه غيرهم. ونلحظ في الموقع الأول ذكر النصيحة بين البلاغ والعلم، فهي معطوفة علي التي قبلها ﴿أبلغكم﴾ ومعطوف عليها الذي بعدها ﴿وأعلم﴾. مما يشعر بمنزلتها وأهميتها في رسالات الأنبياء ودعوتهم، فهي وسيلة البلاغ النبوي، كما أنها دليل العلم والمعرفة الربانية.

والمتأمل نصيحة الأنبياء الوارد ذكرها في القرآن الكريم، وطريقة صياغتها وعرضها، يجد أنها تتميز بعدة خصائص منها:

١. مباشرة واضحة في المضمون والصياغة

﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (سورة الأعراف، الآيات:٦٥، ٧٣، ٨٥) هذا هو مضمون نصيحة الأنبياء المتكررة على ألسنتهم جميعا. رسالة مضمونها واضح، وقصدها مباشر، تُعرض بألفاظ معدودة، يفهمها كل منصوح، دون لبس أو غموض، أو حاجة إلى شارح أو مفسر. وهذا المعلم -في حقيقته- يعتبر من أدل الأدلة على صدق النصيحة وصفائها؛ إذ أن الناصح الأمين -لحرصه البالغ على إيصال الخير، وإقناع المنصوح به- يختار أبين الكلمات تعبيرا، ويصوغ أوضح العبارات مضمونا، كما أنه يتجنب المعقدات اللفظية، والعبارات المبهمة؛ ليؤدي- مع أداء النصيحة - دور المعين على الخير في إرشاد الناس إليه، وليقطع الطريق على كل ظن أو شبهة تعوق المنصوح في رؤية الخير وتمييزه. ومن هنا يتصف الناصح القرآني بأنه يراعي أحوال الناس وأمزجتهم المختلفة، خاصة فيما هو متعلق بالدين، ومجيء نصيحته مباشرة في هدفها، واضحة مختصرة في صياغتها ومضمونها، أكبر دليل على عمق الصفاء والنقاء في قلبه تجاه منصوحه.

٢. استمرارها والثبات عليها

الناصح الأمين دائم النصح. لا يَكل ولا يمل في الدعوة إلى الخير. يستخدم كل ما لديه من وسائل وأساليب لإيصال النصيحة ناصعة خالصة. ولأن أنبياء الله هم أصدق الناصحين، وأحرصهم على الإرشاد والهداية، نجدهم ينتقلون من أسلوب إلى أسلوب، ومن وسيلة إلى أخرى؛ ذلك أن هدفهم ليس إلقاء النصيحة فحسب، إنما هو الحرص

الشديد على المنصوح أن تصله النصيحة، وأن ينتفع بما فيها من خير. نجد هذا الملمح واضحا في نصيحة نوح عليه السلام، فقد استخدم لفظ ﴿ أَنصَح لَكُمْ ﴾ وهو صيغة الفعل، وأيضا في نصيحة هود عليه السلام، فقد استخدم لفظ ﴿وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ وهو صيغة اسم الفاعل، والمعروف أن كلا الصيغتين يدلان على الاستمرار والتجديد والثبات على الأمر. جاء في مفاتيح الغيب:(إن صيغة الفعل تدل على التجدد ساعة فساعة، وأما صيغة اسم الفاعل فإنها دالة على الثبات والاستمرار على ذلك الفعل)([1]) وهذا ما يؤيده وصف نوح عليه السلام لجهوده في دعوة ونصيحة قومه. يقول تعالى: ﴿قال رَبِّ إني دَعَوْتُ قومي لَيْلاً وَنَهَاراً فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾ (سورة نوح، الآيات: ٥، ٦، ٧)

٣. تجرد المقصد وسلمية الوسيلة

فليس في نصيحة النبوة من حظوظ النفس شيء؛ فهي لا تجنح إلى إثارة غضب المنصوح، أو إشعال فتيل العداوة بين المنصوحين والناصح، إنما نجد الأنبياء الناصحين- رغم قسوة وسوء خلق بعض المنصوحين- يقابلون الإساءة بالإحسان، ويدفعون السيئة بالعفو والغفران، ونجد نصيحتهم، لا تزداد في هذه المواقف إلا إصرارا وثباتا، وتنوعا وابتكارا، مع أرقى حالات الصدق والإخلاص، وهذا ما نعنيه بالتجرد السلمي في النصيحة. يظهر هذا المعلم بوضوح من خلال قصة نوح عليه السلام مع قومه، فمع إصراره و استمراره في نصيحتهم المخلصة، فقد تحدوه بكل صدف وعناد، ورموه بالجدل والكذب. يقول تعالى عنهم: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ (سورة هود، الآية ٣٢) فكان جوابه: ﴿قال إنما يأتيكم

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٧ص ١٦٧ نقلا عن الشيخ عبد القاهر النحوي في كتابه دلائل الإعجاز.

به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾ (سورة هود، الآية ٣٣،٣٤) فأرجع الأمور كلها إلى الله تعالى ومشيئته، وهذا دليل التجرد الفريد، الذي تتلاشى أمامه نوازع النفوس الغاضبة، وردود الأفعال الثائرة. ومن هنا تأتي السلمية في النصيحة عندما تُصبغ بالصبغة الربانية، فيكون الناصحون بها أرق الناس قلباً، وأعظمهم خلقاً، وأسلمهم قولاً وفعلاً.

٤. الإيجابية وذاتية البدء

وهذا أبرز ما يميز نصيحة الأنبياء، فنصيحتهم لا تتوقف على تصحيح الأخطاء عند معاينتها، أو تقويم الاعوجاج بعد بزوغه، إنما هي ابتدائية استشرافية، تنطلق بذاتية الفعل والحركة، فتعمل على نشر المعروف قبل وجود المنكر، وتنشد الإصلاح قبل ظهور الفساد. وهي إيجابية: تأخذ المبادرة الصادقة نحو الخير بتفاؤل النفس وحسن الظن. وإن كانت هذه خصائصهم قبل رؤية المنكر وفشو الفساد، فماذا عساهم أن يكونوا إذا طمّ المنكر وعمّ الفساد! وفي نصيحة شعيب عليه السلام خير ما يستدل به لهذه الخصيصة. فقد توجه ناصحا قومه في قوله تعالى:﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ (سورة الأعراف، الآية ٨٥). فبدأ بدعوتهم إلى عبادة الله وحده، فهي جماع كل صفات الخير ومصدر مكارم الأخلاق؛ ولهذا استهل بها نصيحته، ولو أن القوم آمنوا بها -من البداية- لصلحت كل مفاسدهم، واستقامت أمور حياتهم، دون الاضطرار إلى الحديث عن الأسقام الأخلاقية والمفاسد الاجتماعية التي فشت فيهم وعُرفت عنهم، ولكن لما كان رد قومه بالسلب تجاه ما بدأ به نصيحته، دفعه ذلك إلى تناول وتحديد واحدة من

أضر مفاسدهم، ولكنه لم يتناولها بالسلبية المعيبة المستفزّة، إنما تناولها في صورة إيجابية بنّاءة، تُظهر الخلل من غير تجريح أو اتهام. وذلك في قوله تعالى: ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ (سورة الأعراف، الآية ٨٥) ثم خاطب فيهم نوازع الخير في الفطرة على سبيل التفاؤل في قوله: ﴿إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (سورة الأعراف، الآية٨٤). وبهذا الأسلوب تأخذ النصيحة طريقها إلى القلوب في إطار الإصلاح والبناء الإيجابيين.

٥. تنوع الأدلة في البيان والحجاج

وفي ذلك تقدير بالغ لعقلية المنصوح، وإدراك لاختلاف مستوى الأفهام، وحرص على وصول دعوة الخير إلى مقصدها. يظهر ذلك من نصيحة هود عليه السلام، فقد استخدم عدة أدلة حسية معلومة فيهم وفيمن حولهم؛ وذلك ليثبت لهم قدرة الله وأحقيته وحده بالعبادة، وذلك بعد بيانه الواضح الذي قابلوه بالاستهزاء والسخرية .يقول تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ (سورة الأعراف الآية ٦٩) فتذكيره لهم بقوم نوح فيه استخدام دليل التجربة باسترجاع حقائق التاريخ المعروفة. وفي لفت أنظارهم لخلقهم ولنعم الله عليهم استخدام لدليل الواقع المحسوس. ثم انتقل بهم إلى دليل المواجهة بالحقائق المنطقية. في قوله تعالى: ﴿ أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ (سورة الأعراف الآية ٧١). وبهذا تكون نصيحته قد بلغت ذروة البيان والإقناع في حرص شديد وحجة سديدة؛ ولذا جاء التعقيب الأخير لهذا المشهد بقوله تعالى: ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ (سورة الأعراف الآية ٧١). ليبين أنه قد أدى ما عليه من نصيحة كاملة، لا يبقى بعدها إلا انتظار عواقبها على الطرفين.

ثانيا : أفراد يمثلون أدوارا مختلفة في الحياة الاجتماعية العامة

ونرى الناصحين في القرآن أفرادا من المجتمع: رجالا أو نساء، فرادى أو جماعات، من العامة أو الخواص. من أمثلة ذلك نصيحة الرجل الذي جاء يسعى من أقصى المدينة، لينصح موسى عليه السلام. يقول تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين﴾ (سورة القصص، الآية٢٠) فهو رجل فرد من الخواص المقربين من فرعون، أو ربما يكون من أقاربه كما تذكر بعض الروايات(١).

ومثال المرأة الناصحة نجده في قصة أخت موسى عليه السلام، فقد دلّت القوم على أنصح الناس لموسى في القيام بحاجته ورعايته في سن طفولته. يقول تعالى: ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (سورة القصص، الآية١٢) تقصد أم موسى في نصحها لابنها، أو ناصحون للملك ،كما تذكر بعض التفاسير(٢). والمتتبع لهذا النوع من الناصحين في القرآن، يجد أن نصيحتهم تتميز ببعض الخصائص أيضا من أهمها:

١- تعدد الدوافع

فتارة تكون إنسانية بحتة، يدفعها الانتماء الإنساني العام لنصرة المستضعفين، أو لإيقاف ظلم الظالمين، أو لتسهيل وصول الخير للمعوذين. وقد يدفعها بجانب الإنسانية روابط أخرى خاصة، كالقرابة، أو المسؤولية. فالإنسان الحر بفطرته النقية، وطبعه

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج ١٩ ص ٥٤٧، مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) ابن جرير الطبري ج ١٩ ص٥٣٤.

السليم، لا يؤخر النصيحة والإرشاد عند وقت الوجوب، كنصيحة مؤمن آل فرعون لموسى عليه السلام، فهو لم يبال بعواقب ما نصح به موسى، إنما تحرك بسعي حثيث، يدفعه روح الإنسانية السليمة، الكارهة للظلم؛ من أجل نصرة مُصلِح مُستهدَف.

و أيضا نرى مثال أخت موسى في إرشاد آل فرعون إلى من هو أنسب لكفالة موسى والقيام برضاعته، فذكرت أنهم قوم له ناصحون، وقد صدقت، فرابط الأمومة من أقوى دوافع النصح في هذا المقام. ولذا عندما قالت: ﴿وهم له ناصحون﴾ (أخذوها، وقالوا: إنك قد عَرَفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، فقالت: ما أعرفه، ولكني إنما قلت: هم للملك ناصحون)(١)، فاستدركت بعد أن نطقت بالصدق؛ لتقي نفسها. والشاهد أن علاقة القرابة تأتي من دوافع النصيحة، بل من أقواها.

٢- عدم جواز تأخيرها

عامل الوقت في نصيحة هذا النوع من الناصحين قد يكون جوهريا بما لا يدع مجالا لتأخيرها، لما قد يترتب عليه من عواقب وخيمة قد تعود على المنصوح. نفهم ذلك من سعي رجل آل فرعون بنصيحته إلى موسى عليه السلام، إذ أن تأخره في هذا النوع من النصيحة، في هذا الوقت، قد لا يجعل لها معنىً، ولا يرقى بصاحبها أن يكون في مصاف الناصحين. ويدخل في ذلك أيضا ما كان دافعه القرابة، كالأمومة في قصة أم موسى، فلا يمكن تأخير ما يجب فيه النصح من الأمهات إلى أولادهن لوجوب التربية والتوجيه في حقهن.

---

(١) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥ ص ٢٨٦، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

وينسحب على ذلك أيضا: نصيحة الحاكم والمحكوم لبعضهما، وكذلك العالم والمربي، فيما هو ضروري للإصلاح والإرشاد.

٣- الجدية والعملية

فهذا النوع من النصيحة- في كثير من الأحيان- لا يعتمد على التنظير وطول المقال، بل يُكتفي فيه ببيان موجز، ثم العروج السريع إلى الحلول العملية، التي تضفي على النصيحة مزيدا من الصدق، وتدل على حرص الناصح وجديته. نلمس هذا المعلم من نصيحة الناصح لموسى عليه السلام، فهو لم يكتف ببيان مؤامرة الملاء لقتل موسى، إنما أعقب ذلك بقوله:﴿فاخرج إني لك من الناصحين﴾ (سورة القصص: الآية٢١) وكذلك في نصيحة أخت موسى عليه السلام، فقد قالت:﴿هل أدلكم على أهل بيت﴾ (سورة القصص:الآية١٢).فالاقتراحات الواقعية، والإرشادات الجادة، هي أساس انطلاقة هذه النصيحة في عرف االناصحين.

ثالثا: القيم والمبادئ

المشهور أن تكون المبادئ و القيم نصيحة تُقَدم، أما أن تكون ناصحا فهذا هو الجديد الذي نجده في إشارات القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾(سورة التحريم، الآية ١٨) فقد ورد في التفاسير(١) أن التوبة النصوح هي (البالغة في النصح. والمعنى: توبة تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه، ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها،

(١) الرازي، مفاتيح الغيب ج ١٥ ص ٣٨٨. الألوسي روح المعاني ج٢١ ص ١٠٤

واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها) ولا شك أن ذلك من أقوى أنواع النصيحة التي يجب أن يُفطن إليها خاصة في العصر الحاضر؛ للأسباب الآتية:

١. لا يمكن للمعاني والقيم أن تحول إلى نصيحة ناصح إلا من خلال نفس تحملها وتؤمن بها، ولذا فإن وجودها في النفس نصوحا، يعتبر دليلا على أنها بلغت مبلغا جللا في أعماق صاحبها (المنصوح).

٢. لا يمكن أن تكون المبادئ ناصحا للغير إلا إذا تحولت إلى فعل ملموس أو موقف مشهود في حياة المجتمعات والشعوب، فتكون مصدر إشعاع ونور.

٣. تعمل المعاني والقيم ناصحا على المستوى الفردي في ذات نفس صاحبها، كما تعمل على المستوى الجماعي.

٤. تحول المعاني والقيم في نفس الأفراد إلى ناصح وسط الجماعات قد يكون أقوى تأثيرا من نصيحة الجماعات لفرد، وذلك عملا بالقول الشائع: عمل فرد في ألف خير من قول ألف في فرد.

٥. تعتبر نصيحة القيم والمبادئ من مجالات الدعوة الصامتة، التي تنطلق في تأثير فعال بلا تكلف، وفاعلية مؤثرة بلا معاناة.

٦. تجمع نصيحة القيم والمبادئ كل أركان النصيحة في محل واحد، فالنصيحة والناصح والمنصوح وأداة النصح تُوجد داخل النفس البشرية أولا، قبل أن تنتقل إلى المحيط الخارجي.

٧. مقدار أثرها في العالم الخارجي مرهون بعمق أثرها في عالم النفس والضمير الداخلي.

٨. لا ينقطع تأثيرها والنفع بها، فهي في حال استمرار وديمومة ما وجدت الحاجة إليها.

رابعا: الشيطان وأعوانه

هذا الصنف هو الذي يلبس ثوب النصيحة في حين أنه لا يعرف طريقها، ويدعي الانتماء للناصحين وهم منه براء. وأصدق ما يقال في وصفهم: ما سطره أحمد شوقي([1]) في وصف الثعلب الذي برز يوما في زي الواعظين، يراوغ بكل مكر وخديعة حتى يصل إلى بغيته السقيمة. وكذلك كان فعل الشيطان عندما برز في زي الناصحين يوما بهدف إغواء آدم وإخراجه من الجنة، ليجعله من العصاة، في معصية التاريخ المشؤمة. يقول تعالى: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ (سورة الأعراف، الآية٢١) ومثاله أيضا: ما ألقاه الشيطان في قلوب إخوة يوسف عليه السلام، فقد مكروا مكرهم، وعزموا علي أن يجعلوا أخاهم في غيابة الجب، حسدا من عند أنفسهم، ولحبك ما أرادوا، ارتدوا لباس الناصحين، و ادعوا أنهم من الحافظين الناصحين. يقول تعالى: ﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ (سورة يوسف، الآية١١) وعجيب الأمر في الموقفين أن مكيدة الشيطان مع آدم نجحت، وحيلة إخوة يوسف مع يعقوب ويوسف عليهما السلام نفذت، رغم أنهم أنبياء مكرمون. وربما كان سبب وقوع الأنبياء ضحية لهذا المكر والخداع هو استخدام لقب الناصح

(١) موقع الأدب الكتروني
http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=9691

وأسلوب النصيحة، الذي ليس له معنى في قواميس الأنبياء والمصلحين إلا إرادة الخير الناصع الخالص. وربما لهذين الحدثين، أضيف إلى سجل مفردات النصيحة، أنها قد تكون ادعاء زائفاً، وشراً محدقاً، وتزييفاً مغرضاً، ما صدرت من نفس عليلة، بنية سقيمة. ونصائح الشياطين وأعوانهم تختص بخصائص تميزها عما سبق ذكره من الناصحين ، أعرض بعضاً منها فيما يأتي، ليحذرها الناصحون الصادقون.

١. حبكة الكذب والخديعة بالمبالغة في استخدام المؤكدات. كالقسم، ونون التوكيد ولامها. كما في قوله تعالى: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ وقوله تعالى: ﴿وإنا له لناصحون﴾.

٢. قيامها على التدبير المسبق والخديعة المتعمدة، فلا مجال للتلقائية والبراءة فيها. يقول تعالى:﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ (سورة يوسف، الآية ١٠٢) وعن الشيطان يقول تعالى:﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ (سورة ص، الآية ٨٢).

٣. لا يُعرفون في تعداد الناصحين إلا على ألسنة أنفسهم فيما ادعوه، ولكنهم عند الناس فهم الماكرون المخادعون.

٤. سرعان ما ينكشف أمر هذا النوع من مدعي النصيحة؛ فيكشف ادعاءهم، وتظهر حقيقة تزويرهم. وهذا ما حدث لأخوة يوسف عند نهاية القصة، وما حدث للشيطان بعد وقوع آدم في مكيدته.

وبهذا البيان عن الناصحين في القرآن مع اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم وخصائصهم، يتحدد أيضا أهم المجالات التي تكون فيها النصيحة ، وهذا ما نأمل بيانه في المبحث المقبل إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث

مجالات النصيحة في القرآن وتطبيقاتها المعاصرة

من العرض السابق لمفهوم النصيحة، وبيان الناصحين وخصائصهم من خلال آيات النصيحة في القرآن الكريم، يستطيع الباحث أن يتبين مجالات النصيحة القرآنية، التي من خلالها يمكن الوصول إلى التطبيقات العملية المعاصرة للنصيحة. وبيان ذلك كالآتي:

أولاً : النصيحة لله ورسوله

جاء في سبل السلام عن الخطابي قوله: (النصح لله: الإيمان به، ونفي الشرك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، وتنزيهه تعالى عن جميع أنواع النقائص، والقيام بطاعته، واجتناب معاصيه، والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وغير ذلك مما يجب له تعالى. والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: تصديقه بما جاء به، واتباعه فيما أمر به ونهى عنه، وتعظيم حقه، وتوقيره حيا وميتا، ومحبة من أمر بمحبته من آله وصحبه، ومعرفة سنته والعمل بها، ونشرها والدعاء إليها، والذب عنها)([1]).

(١) محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام ج ٤ ص٢١٠ مكتبة مصطفى البابي الحلبي الطبعة : الرابعة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م

وهذا هو أول مجالات النصيحة التي ينبغي أن يهتم بها الناصحون. وهو يعني في مجمله: إصلاح النفس بأركان الإيمان ومواصفاته قبل الالتفات إلي إصلاح الآخرين، كما يعني أن يكون الناصح قدوة قبل الإرشاد والتقويم، ويعني أيضا ارتباط نجاح عملية النصح الخارجي بقدرة الناصح على نصح نفسه وتوجيهها.

وهذ النصح لله ورسوله -بالمفهوم السابق- يعتبر من أجلّ الأعمال وأقومها؛ ولذا جعله الله عز وجل الشرط الوحيد الذي يعفي أصحاب الأعذار من المشاركة مع المجاهدين في الغزوات، ويرفع عنهم معرة التخلف عن رسول الله في هذا المقام. بل ويصل بهم إلى درجة المحسنين. يقول تعالى :﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل﴾ (سورة التوبة، الآية٩١). والشاهد هنا أن الله تعالى جعل هذا النوع من النصيحة مقابل الجهاد في سبيل الله في حق أهل الأعذار، ووصف القائمين به أنهم من المحسنين، وذلك لأهميته مع الجهاد من ناحيتين: قوة النفس وتزكية الروح مع الإعداد المادي من أهم مقومات النصر في المجتمعات. ثم إن القيام بواجب النصح لله ورسوله بالمفهوم السابق سيعمل على حفظ الأوطان من مساوئ الأخلاق وفساد الضمائر، خاصة عند انشغال الأمة بجبهات القتال. وربما يسترشد لهذا المعنى بما ذكره الرازي عند قوله تعالى: ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾. فقد قال:(إنهم إذا أقاموا في البلد احترزوا عن إلقاء الأراجيف، وعن إثارة الفتن، وسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين الذين سافروا، إما بأن يقوموا بإصلاح مهمات بيوتهم، وإما بأن يسعوا في إيصال الأخبار السارة من بيوتهم إليهم، فإن جملة هذه الأمور جارية مجرى الإعانة على الجهاد)([1]).

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٨، ص ١١٩.

والناصحون في العصر الحاضر، يحتاجون إلى إن ينتبهوا إلى هذا المجال الهام في النصيحة، وأن يكثروا من تطبيقه وشيوعه في الحياة المعاصرة، وأن يقضوا جُلّ أوقاتهم مع أنفسهم في مجال النصيحة لله ورسوله بالمفهوم الذي اشرنا إليه؛ فذلك سيعينهم على ما يأتي:

١- الوصول إلى درجة المحسنين في أداء النصيحة، فالآيات تبين أن النصيحة لله ورسوله طريق المحسنين، ولا يخفى ما يصحب الإحسان من ازدهار وتقدم منشود في جميع مناحي الحياة.

٢- حفظ الأوقات واستثمارها في مجالات الخير الأخرى، وذلك لأن الأفعال والقدوة في هذا المجال من النصيحة ستكون أسبق إلى المنصوح من الأقوال، بما يوفر الأوقات ويدخر الطاقات.

٣- قوة تأثير النصيحة واستمرار بقائها، فكل إناء ينضح بما فيه، فإذا قويت النفس في الله ورسوله، اكتسبت الثقة والثبات في عين الأخرين، بما يدفعها أن تكون وثابة وقافة نحو الخير وعند الخير.

٤- إقامة مجتمع القدوات المتحركة، الذي من خلاله تتحرك منظومة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتلقائية غير مفتعلة.

ثانيا : الدعوة إلى الله تعالى

والأصل في هذا المجال أن يأتي بعد تحقق المجال الأول، أو أن يكون متزامنا معه. ولاشك أن الدعوة إلى الله تعالى تعد من أبرز وأهم مجالات النصيحة، قديما وحديثا، وهي في عرف المصلحين تعتبر من أنفس النصائح وأعلاها قيمة؛ ذلك لأن القائمين بها

هم الأنبياء و المرسلون، والدعاة السائرون على دربهم. يقول تعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ (سورة فصلت، الاية٣٣).

والملاحِظ لنصيحة الأنبياء في القرآن يجد أن جلها يقع تحت مجال الدعوة إلى الله. فكلهم جاء بنفس الرسالة اليسيرة الوجيزة ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ وكلهم كان حريصا - ليس فقط على أن تصل هذه الدعوة إلى الناس- إنما تجاوزوا ذلك إلى حرصهم الشديد على انتفاع مدعويهم بهذه النصيحة الجليلة. ظهر ذلك في استمرار نصيحتهم، وتنوع عرضها، والإلحاح في توصيلها، والحزن الشديد على عدم الاستجابة لها. يقول تعالى عن الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، الآية٦)

ولا يخفى أن العصر الحاضر في حاجة ماسة إلى هذا النوع من النصيحة في الدعوة المعاصرة، التي تتحرك بين أطياف شتى ومعتقدات متنوعة، ووسائل مستحدثة، بلغت الآفاق، وأسرت القلوب، وأثرت في العقول. ولتطبيق هذا المجال من النصيحة في العصر الحاضر يجب مراعاة الآتي:

١. أن يمارس الدعاة المعاصرون الدعوة بإحساس وشعور الناصحين، في هدفهم: فهم يريدون إرضاء رب العالمين وحده. وفي أخلاقهم: فهم الحريصون المخلصون الصادقون. وفي وسائلهم: فهم المبدعون المجددون المنوعون.
٢. وأن يجعلوا دعوتهم نصيحة، في هدفها: فهي تنشد الخير الناصع. وفي سمتها: فهي هادئة لينة، وفي وسيلتها: فهي متنوعة هادفة.
٣. اعتبار المدعو منصوحا، فيتعامل معه بالتسهيل والتيسير لا التعقيد والتنفير.

٤. أخذ نماذج الأنبياء في نصيحتهم أقوامهم نموذجا يحتذى به مع المدعوين في العصر الحاضر.

ثالثا : الوقاية ودفع الضرر

وهذا مجال آخر للنصيحة له من الأهمية مكان. ويأتي في صور متعددة منها:

١. الوقاية من عذاب الله في الآخرة. مثال ذلك ما جاء في نصيحة نوح عليه السلام. يقول تعالى: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ (سورة الأعراف، الآية٥٩) وفي نصيحة صالح عليه السلام .يقول تعالى:﴿ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم﴾ (سورة الأعراف، ألاية٧٣).

٢. الوقاية من عذاب الله في الدنيا. مثال ذلك ما جاء في قصة شعيب عليه السلام، إذ ينصح قومه من عاقبة التكذيب بآيات الله. يقول تعالى:﴿و يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح او قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ (سورة هود، الآية٨٩)

٣. دفع ضرر مكيدة معلومة ومخطط مؤكد، كما فعل مؤمن آل فرعون عندما بلغه كيد فرعون بموسى عليه السلام. يقول تعالى عنه: ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ (سورة القصص، الآية٢٠).

و لاشك أن هذا المجال في النصيحة مما يحتاج إليه المربون الموجهون في العصر الحاضر. خاصة بين الوالد وولده، والأستاذ وتلميذه، والرئيس ومرؤوسه.

وحتى تكون النصيحة في هذا المجال على هدي القرآن عملية نافعة، لابد أن تشمل الوقاية من عذاب الآخرة والدنيا معا. كما يجب أن تحمل معنى الخوف والشفقة على المنصوح، وذلك حتى لا تأخذ شكل التهديد أو الوعيد. كما ينبغي ألا تكون مبنية على إشاعات أو أكاذيب فتصبح إفسادا أو ترويعا، أو حدثا يحتاج إلى نصيحة.

رابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذا المجال جلي واضح من نصيحة شعيب عليه السلام، فقد ضمنها جملة من المعروف أمرهم به، وجملة من المنكر نهاهم عنه. قال تعالى عنه: ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ (سورة الأعراف، الآية٨٥).

ونلحظ أن النصيحة في هذا المجال إيجابية بناءة، تبدأ بالمعروف قبل المنكر، لتتجنب المواجهة والتحدي، ولتكون معينا على قبول الخير. وهذا ما يجب أن يفطن إليه الناصحون المعاصرون عند تطبيق النصيحة في هذا المجال، فكم من كثيرين ظنوا أنفسهم ناصحين، فبدأوا ناهين ناهرين، ذاكرين العيوب، أو مفندين الأخطاء، فانتهى بهم المقام إلى نزاعات واتهامات، ومدافعات ومعاندات، ولو أنهم نهجوا نهج نصيحة القرآن فبدأوا بالحديث عن المعروف والدعوة إليه، لكان ذلك معينا على بناء الجسور وفتح آفاق الحوار للحديث والسماع، وربما أدى ذلك إلى قبول النصيحة، أو على الأقل عدم معاداتها.

خامسا : الإصلاح والإرشاد العام

وهو مجال خصب للنصيحة يعمل على التفكير الناضج الإيجابي الذي به تنصلح الحياة، وتبلغ ذروتها في العمارة والحضارة. مثال: نصيحة هود عليه السلام لقومه. يقول تعالى عنه: ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ (سورة هود، الآية٥٢). فهو يرشد إلى أسباب النمو والرخاء الاقتصادي، كما يتحدث عن قوة مادية متعددة، تؤهل القوم لمزيد من التقدم الحضاري بين الأمم والشعوب. وهكذا يجب أن تكون نصيحة الأجيال الصاعدة في المجتمع المعاصر أفكارا واقتراحات ومشروعات لنهضة الأمة وحفظها من النكبات والتأخر.

ومثل هذا النوع من النصيحة لا يُطلب، إنما دافعه الذات، والحرص على الإصلاح والتطوير، ولكنه إذا طُلب من أولياء الأمر والمسئولين، كانت الحركة إليه أوجب والقيام به على وجه السرعة ألزم.

والأمة في حاجة أن ترسخ لهذا النوع من النصيحة في قلوب وعقول الشباب المعاصر، وذلك بدعوتهم للمساهمة بأفكارهم في عمليات الإصلاح والتطوير التي لا تنتهي، وأيضا عن طريق تشجيع المبادرين بمثل هذا النوع من النصائح الإصلاحية البناءة لدى أولي الأمر والمسئولين.

وبفهم هذه المجالات في النصيحة ومحاولة تطبيقها في العصر الحاضر على مختلف المستويات، يمكن أن تأخذ أمتنا طريقا سليما لبناء مجتمعات ناهضة، محبة للنصيحة أن تكون على خير وجه، وأن يقبلوا النصيحة على أي وجه.

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات:

بعد هذه الرحلة مع آيات النصيحة في كتاب الله تعالى، دراسة، وتحليلاً في بيان المفهوم والمجالات والتطبيقات، نأتي إلى الختام الذي يشمل أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة. وبيانها كالآتي:

١. يجب الاعتماد على القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم كمرجع أساسي لدراسة وتحليل وتطوير القيم والمبادئ الإنسانية العامة، ومحاولة إسقاطها بالتطبيق على الحياة المعاصرة.

٢. القرآن الكريم هو الوعاء الخصب الممتلئ بكل ما يحتاج إليه الناصحون، والمرجع الذي تُقاس وتُصنع عليه النصيحة في كل أشكالها وأنواعها. فالناصح الشرعي يجد مادة نصيحته وافرة بين آيات هذا الكتاب العزيز في كل مجالات الشريعة، وكذلك حال الناصح الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو التربوي... وغيرهم. الجميع يجد القرآن مصدرا لنصيحته، أو مدعما لنظريته، أو منبها مصوبا لزلته وعثرته.

٣. النصيحة في القرآن الكريم من أهم المصطلحات التي تتميز بالشمول في معاني الخير والقيم الأخلاقية في التعامل مع الآخرين، وذلك من ناحية جوهرها، ومقصدها، وطرق أدائها، وكذلك في مردودها.

٤. النصيحة بمفهومها الشرعي الصحيح، لا تتحقق إلا مع أركانها الأربعة بمواصفاتها الآتية: ناصح أمين مخلص، نصيحة ناصعة خالصة، منصوح مقصود بالنصيحة،

وأداة للنصيحة صادقة في التعبير رقيقة في البلاغ. أما إذا فقدت هذه الأركان الأربعة بصفاتها أو واحدة منها فلا تكون إلا ادعاء كاذبا، أو إلباسا لباطل زائف بصورة الحق الناصع.

٥. الناصحون في العصر الحاضر في حاجة إلى نماذج عملية يتعلمون منها فن النصيحة، وخير من يقتدى بهم في هذا الباب أنبياء الله عليهم السلام، فهم – كما بينت الدراسة– صناع النصيحة، وأعلام النصح، وقادة الناصحين على مدار التاريخ.

٦. الوقاية العامة ودفع الضرر المؤكد من أهم مجالات النصيحة بين المربين على اختلاف مسؤولياتهم ومواقعهم في العصر الحاضر. وحتى تكون النصيحة في هذا المجال على هدي القرآن، لابد أن تشمل الوقاية من عذاب الآخرة والدنيا معا. كما يجب أن تحمل معنى الخوف والشفقة على المنصوح، وذلك حتى لا تأخذ شكل التهديد والإرهاب.

٧. الإصلاح والإرشاد العام من أهم مجالات النصيحة في العصر الحاضر ولذا وجب على الأمة أن ترسخ لهذا النوع من النصيحة في قلوب وعقول الشباب المعاصر، وذلك بدعوتهم للمساهمة بأفكارهم في عمليات الإصلاح والتطوير، وأيضا عن طريق تشجيع أولي الأمر والمسئولين للمبادرين بمثل هذا النوع من النصائح الإصلاحية البناءة.

انتهى سائلا المولى القدير القبول والتوفيق.

أهم المراجع

١- القرآن الكريم

٢- ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٣- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم ، دمشق، ط أولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٤- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٥- أبو حاتم محمد بن حبان في صحيحه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤- ١٩٩٣.

٦- أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام هَارُون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، سنة ٢٠٠٢م.

٧- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ .

٨- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ، دار الفكر،١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٩- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ، ط الرابعة، ٢٠٠٤م.

١٠- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥-١٩٩٥.

١١- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧ ص ٢٣٤، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط أولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

١٢- محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي الطبعة: الرابعة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م

١٣- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط أولى، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

١٤- محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، لسان العرب، دار صادر بيروت، طبعة أولى.

١٥- محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦- مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحة، باب: بيان أن الدين النصيحة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٧- موقع الأدب الكتروني
http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=9691

١٨- موقع المكتبة الشاملة الالكتروني.

١٩- موقع يعسوب الالكتروني.

٢٠- يحي بن شرف أبو زكريا النووي، شرح مسلم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ.